الطوطمية في ديانة القبائل العربية القديمة قبل الاسلام

الكلمات المفتاحية:الطوطمية،القبائل،الاسلام

م٠د٠احمد نومان مسير
المديرية العامة لتربية ديالى
d.ahmednoman@gmail.com

الملخص

تعد الطوطمية وعبادة الاسلاف فرع من فروع الاديان الجاهلية ((عرب ما قبل الاسلام)) ،فهي ليست حكراً على القبائل العربية فحسب بل شملت ايضاً القبائل الغير عربية ،فهذه العبادات هي متلازمة للإنسان منذُ ظهوره وحتى الى عصور متأخرة لعصر ما قبل الاسلام . تناول البحث الطوطمية وعبادة الاسلاف ، وكيفية استخدام واستحداث هذا المصطلح الحديث ، وهذه تسمية لم تكن معروفة سابقاً لا لدى القبائل نفسها ، ولا حتى لدى العلماء واهل الاخبار الاولين ، فالطوطمية مصطلح حديث اطلق على عبادة الحيوان والنبات والكواكب فهي معتقدات دينية وطقوس وعادات تمارس في مجتمع العصر الجاهلي عرب ما قبل الاسلام القبائل العربية والقبائل الغير عربية ،والنظريات والاراء التي قيلت فيها ، وفلسفتهم ،واثر هذه العبادة على القبائل في عاداتهم وتقاليدهم ، وعبادة الاسلاف واثرها في الحياة الدينية لمجتمع العرب ما قبل الاسلام ، وكيفية تقديس أباءهم واجدادهم واسلافهم ، وعبادة قبورهم تيمناً منهم لحمايتهم من الاخطاء والصراعات التي قد تحدث لأبناء القبيلة .

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعين به ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله وبعد :

كان للحياة الدينية الاثر الفعال والروحي و الواعز في حياة القبائل القديمة بصورة عامة ، وقبائل شبه الجزيرة العربية بجميع اديانها الجاهلية ((عرب ما قبل الاسلام)) ، تمثل الطوطية وعبادة الاسلاف ، العمود الفقري لاديان العرب وهما فرع من فروعها الاساسية ، فالطوطية هي اول صورة للدين والمعتقد للتاريخ البشري ، فهي (الطوطية) مصطلح حديث اطلق على كل قبيلة تعتقد بعبادة النبات والحيوان والكواكب وغيرها ، سيما وانها تشمل جميع القبائل العربية منها وغير العربية ، وفي كل بقاع ارض الله المعمورة منذ القدم وحتى ظهور الاسلام

، اما عن عبادة الاسلاف ، فهي ايضاً فرع من فروع الاديان القديمة ومنها اديان الجاهلية ((عرب ما قبل الاسلام)) فمعتقدي هذه الديانة ، يعولون على عبادة اسلافهم من الرؤساء والاجداد العظام ، وتقديس قبور اسيادهم اعتقاداً بانهم سوف يدرئون الخطر والشر عنهم ، فهم القوة الروحية التي لا تنفذ على مر العصور .

تناول البحث فقرات عديدة منها : اصل تسمية الطوطمية ومتى استحدث هذا المصطلح ، وعلى يد من ، وكيفية استخدام هذه العبادة (الطقوس) في حياة القبائل القديمة ، والنظريات التي مرت بها ، واثر الطوطمية على حياة القبائل القديمة ومنها قبائل عرب ما قبل الاسلام ورأي العلماء وفلسفتهم تجاه الطوطمية وعبادة الاسلاف ، والتي تعد من الفروع المهمة للأديان العرب قبل الاسلام ، واديان القبائل الاخرى الغير عربية .

١- اصل الطوطمية

الطوطمية : هي اول صورة للدين والمعتقد في التاريخ البشري [١] ، فهي نظرية وضعها ((ماك لينان)) ((مكلينان)) المتوفي سنة ١٨٨١ م ، فهي مصطلح حديث يوضح فلسفة ومعنى ديانات القبائل القديمة وهي لا تستثني قبيلة معينة ولا تقتصر على قبيلة معينة ، فهي اذن تشمل القبائل العربية في شبه جزيرة العربية ((عرب ما قبل الاسلام)) ، والتي تعتقد من عبادتها للنبات او الحيوان او الكواكب او الارواح وحتى الاشخاص والتي عبر عنها بمصطلح او نظرية (الطوطمية) والتي تعني بتقديس وعبادة الطوطم الخاص بكل قبيلة ، وخلاصة النظرية الطوطمية [٢] :

١. ان الطوطمية دور مرَّ على القبائل البدائية وهي لا تزال اكثر الشعوب اغراقاً في البدائية والعزلة [٣] .
٢. ان قوامها اتخاذ القبيلة حيواناً او نباتاً ، كوكباً او نجماً او شيئاً اخر من الكائنات المحسوسة اباً لها ، تعتقد انها متسلسله منه وتسمى بأسمهِ [٤].
٣. تعتقد تلك القبائل ان طوطمها يحميها ويدافع عنها ، او هو على الاقل لا يؤذيها وان كان الاذى طبعه [٥].
٤. تقدس القبيلة طوطمها وتتقرب اليه وتتعبد له ، ويعتبر الزواج ممنوع بين اهل الطوطم الواحد ، ويذهبون الى الزواج من قبائل غريبة عن قبيلة الطوطم المذكور ، وهو ما

يعبر عنه بـ ((Exogamy)) في اللغة الانكليزية ، ولا عبرة عندهم الى العائلة ، والقرابة هي قرابة الطوطم ، فاهل الطوطم الواحد اخوة واخوات يجمعهم دم واحد [٦].
والطوطمية ((TOtemism)) لفظة اخذت من كلمة ((ototemom)) وهي كلمات قبلية ((ojidwa)) من القبائل البدائية القديمة ومنها قبائل هنود امريكا ، واشتقت منها كلمة توتم Totem ومنها اخذ مصطلح ((الطوطمية)) توتميسم Totemism ، وهو الذي يعني اعتقاد جماعة بوجود صلة لهم بحيوان او انسان او نبات[٧] ، والطوطمية نظام معقد غامض وشائك ويقوم على اساس علاقة متماسكة وقوية وقرابة وصلة بين افراد القبيلة [٨] .

٢- اثر الطوطمية على القبائل القديمة

تكون الطوطمية في نظر القبائل القديمة مقدسة ،لذلك لا يجوز صيدها او ذبحها او قتلها او اكلها او الحاق الاذى بها ، وتشمل الطوطمية النباتات كذلك ، فلا يجوز لأفراد الجماعة التي تقدسها قطعها او الحاق الاذى بها ، وقد يتوسع ذلك فيشمل بعض مظاهر الطبيعة مثل : المطر والنجوم والكواكب [٩].

يبدوا ان ظاهرة تعليق بقايا الحيوانات على اجساد الصبيان ماهي الا مخلفات وفلسفة العقيدة الطوطمية ، لاعتقادهم بان هذه الاجزاء ستخيف القوة الشريرة والتي لطالما تصارع الانسان في حياته وعمله في ظروف الطبيعة القاسية وبحثه عن الطعام من اجل البقاء ،لذلك يلجؤون احيانا الى تغير اسم الصبي وتسميته باسم حيوان تنفر القوة الشريرة منه [١٠] .
وتومن القبائل الطوطمية بان الطوطم لا يؤذي اتباعه فلا يخافون منه ، حتى وان كان من الحيوانات المؤذية التي تلحق الاذى بالإنسان ، كالحية او العقرب او الذئب ، وهم يعتقدون ايضاَ انه تدفع عنهم الاذى ، وانه ينذر اتباعه ان احس بقرب وقوع خطر على اتباعه ، وذلك بعلامات واشارات على نحو ما يقال له ((الزجر والطيرة والفال)) [١١] ، وهذا ما جعل بعض القبائل القديمة وعرب ماقبل الاسلام في شبه الجزيرة العربية ان تضع الاصنام على صورة حيوان او انسان او جزءاً من انسان على شكل شيء مادي مرسوم او مجسم وربما حيوان او نبات بأعتقادهم انها تحتوي على صفات خارقة روحانية تحميها وتجلب لها الرزق والامان [١٢].

ويعد الطوطم في نظر القبائل القديمة عمودها الفقري ، فهي في المقام الاول سلف العشيرة ، وفي المقام الثاني روحها الحامي وولي نعمتها الذي يبعث اليها بالتنبؤات ، ويتناقل الطوطم

وراثياً بموجب عمود الاب والام على حد سواء والتبعية للطوطم هي بمثابة الاساس في جميع الالتزامات الاجتماعية ، وقرابة الدم [١٣].

ويعد الطوطم توارثي ، اذ يجري التوارث من طرف الام او الاب ، ومن المرجح ان تكون الطريقة الاولى هي الاصلية عموماً ، وفيها بعد حلت محلها الطريقة الثانية ، فيعد ((الطوطم)) فوق الانتماء القبلي ، ومن جهة اخرى يتغلب على قرابة الدم [١٤] .

ولا يرتبط الطوطم لا بالأرض ولا بموضع بعينه ، فاتباع الطوطم الواحد يمكن ان يعيشوا متفرقين عن بعضهم البعض [١٥] .

ويرى اتباع الطوطم انه من الضروري ان يكسبوا رضاه ، فهم يقلدونه في شكله ومظهره ، ويحتفلون به بالمناسبات مثل مناسبات الولادة او الزواج او الوفاة بنقش رمز الطوطم على ظهر المولود ، او دهن الجسم بدهن مقدس من دهان ذلك الطوطم [١٦].

((ولا ينحصر الطوطم بحيوان معين او بكائن مفرد ، بل يشمل جميع افراد النوع ، ومن وقت لأخر تقام اعياد يعرض فيها ابناء الطوطم او يقلدون في رقصات طقوسية حركات وخصائص طوطمهم [١٧].

و استدل من اسماء بعض القبائل العربية في شبه جزيرة العربية التي تحمل اسماء بعض الحيوانات ، مثل بني اسد ، وبني كلب ، وبني ثعلب ، وبني ثور ، وبني بكر، وبني ضب وغيرها من اسماء القبائل على وجود الطوطمية عند العرب [١٨].

وقد طورت المسيحية الطوطم الحيواني الى الاله الانساني [١٩] ، وشيرجح بعض العلماء فكرة العشاء الرباني في الليلة التي اسلم فيها المسيح (عليه السلام) ، ما هي الا نظام الطوطمية[٢٠] .

يبدوا ان فكرة او نظام الطوطمية هي قاسم مشترك بين افراد القبائل القديمة وفي معظم الاديان او كلها ان صح التعبير ويؤيد هذا الرأي فرويد فيقول :(... وثمة اثمار وبقايا صعبة التفسير تسمح بالاستنتاج بان الطوطمية وجدت قديماً لدى معظم الشعوب منها : الشعوب القديمة الآرية والسامية ... بحيث ان الكثير من الباحثين يميلون الى ان يروا في الطوطمية مرحلة محتومه بين مراحل التطور البشري مرت بهِ جميع الشعوب))[٢١] .

٣- رأي العلماء بالطوطمية :

أ- تيلور D.r.Tylor

يرى تيلور ان الطوطمية هي عبادة او تقديس للأشياء المادية الجامدة التي لا حياة فيها لاعتقاد اصحابها بوجود قوة سحرية فيها ، وقوى غير منظورة في تلك الاشياء تلازمها ملازمة مؤقتة او دائمية ويحمل اليد لجلب السعادة الى صاحبه ، وهو بمثابة ((اله البيت)) وقوة خفية تطرد الخبائث عن صاحبه ، وتجلب الخير له [٢٢].

واصحاب هذه العقيدة لا ينظرون على تلك الاشياء المادية على انها نفسها ذات قوة فعالة خفية ، وانها الرمز او الصورة للاله المنسوب ذلك الشي اليه [٢٣].

ويرون اصحاب العقيدة الطوطمية ان تلك الاشياء ليست سوى منازل او مواضع لاستقرار تلك القوى المؤثرة التي يكون لها دخل في اسعاد الانسان وهو يقدس الاشياء المادية كالحجارة ، مهما كانت صغيرة او كبيرة [٢٤].

ومهما كان نوع الحجارة مهندمة ومصقولة صقلها يد الانسان ومستها او لم تمسها يد ، بل كانت على نحو ما وجدها في شكلها الطبيعي ، لأنه حينما يتقرب الى تلك الحجارة ، لا يتقرب اليها نفسها ، بل يتقرب الى الروح التي تحل فيها ، فالروح هي المعبودة ، لا الحجر الذي تحل الروح فيه، وليس الحجر او المواد الاخرى الا بيتاً أو ملجأً تنزل الروح فيه [٢٥].

ب - روبرتسن سمث (Robertson Smith) :

يرى سمث وجود شبه كبير بين فكرة العرب قبل الاسلام عن الجن وبين فكرة بعض القبائل البدائية عن الحيوانات ، ان راي العرب قبل الاسلام في الجن في تكونيه يشبه راي المتوحشين الطوطمين في الحيوانات الوحشية [٢٦].

وفي القصص التي يرويها البدائيون عن الحيوانات الوحشية وعن ارواحها واماكن احداثها من الامراض والأذى للإنسان شبه بهذا القصص المروية عن الحيوانات الوحشية ، مما جعله يتصور ان فكرة الجن عند الجاهليين (العرب قبل الاسلام) هي تطور لهذه النظرية القديمة التي تكونت عند الطوطمين [٢٧].

وبهذا يتضح لنا ان عبادة الطوطم تشمل اي شيء في الكرة الارضية فالمعبود الطوطم قد يكون حيواناً او نباتاً او اشباح او ظواهر طبيعية ، فكثير من القبائل تعتقد ان الطوطم شعاراً دينياً ، وعلى ضوء هذا الشعار تتوحد القبيلة ويترابط اعضائها برباط القوة ورابطة الدم التي كان لها الدور الرئيسي في حياة واستقرار لكثير من القبائل القديمة آنذاك [٢٨].

ويرى المؤرخين ان المعتقد هو الانقياد والطاعة ، اذ ان الانسان في طبيعة تكوينه اجتماعي وحياته نشأت على التعاون فيما بينهم [٢٩]، وهو يؤمن بأن هناك قوى فوق البشر تدير امور الطبيعة [٣٠].

ولم تقتصر الحياة الدينية للقبائل القديمة ومنها ديانة العرب ما قبل الاسلام في شبة الجزيرة العربية على الزيارة للمعابد او للاماكن المقدسة التي يومن بها ، بل تطور الامر الى السؤال حول المستقبل الاتي لهم من الرزق والسعادة والكوارث الطبيعية والامطار وغيرها من الامور الغيبة ، فكلفوا سدنة المعابد بتلك المهمة باعتبارهم الاقرب للاله وهم خدامهم[٣١] .

ويرى بعض الباحثين (ان هذا النظام يسمى بنظام التوتم – الطوطم (اللقب الاسري) ، وهو نظام معروف في الشعوب القديمة : المصرية ، الاثيوبية ، العربية ، اليونانية ، الرومانية والغالية))[٣٢].

ومن المعروف ان العشائر هي النواة الاساسية في تلك المجتمعات قوامها وحدة اللقب المشترك بين افرادها ، وهو لقب يشتق في الغالب من اسم حيوان او نبات وفي النادر من اسم عنصر جمادي او كوكب من الكواكب ، وتعتقد العشيرة في المجتمعات القديمة ان لها بمسمى هذا الاسم صلة قديمة ، حيوانية او روحية ، اي اما على انها تسلسلت عنه ، او انه كان حليفاً أو حارساً لجدها الاعلى ، او نحو ذلك ، فالعشيرة لذلك تعظمه وترسم صورته على مساكنها [٣٣]، وادواتها ، واسلحتها ، ورایاتها ، بل تتخذ الافراد منه وشماً يطبعونه على اجسامهم كأنه بطاقة شخصية لتحقيق انتساب كل منهم الى عشيرته [٣٤].

ويرى الباحثين فيقول : (ولما كان مشتركاً بين الحيوان والجد الاعلى وافراد العشيرة ، وكانت هذه الصلة بين هذه المعاني الثلاثة في نظرها صلة تجانس تام ،ترجعها الى جوهر واحد ، تشمل التعظيم ثلاثتها ، لكن الخط الاكبر من التعظيم يدخرونه لهذا الاسم المشترك ، او تلك الصورة الجامعة حتى انهم نسبوا هذه الصورة الى خصائص عجيبة)[٣٥].

يروى ان الحقيقة الالهية لم تتجل للناس مرة واحدة فالرجوع الى اصول الاديان في عصور الجاهلية الاولى لا يدل على بطلان التدين ، لذا نرى قد مرت بعدة مراحل للتحول الديني والمعتقدات [٣٦].

يبدوا ان اثار الطوطمية كانت موجودة في ديانات مجتمع العرب ما قبل الاسلام (العصر الجاهلي) ، فهذا الشاعر عبيد بن الابرص يقول ((انه راى ذات يوم حية فسقاها الماء ، فلما اظل جمل له وتاه في الصحراء ارشدته الحية الى مكانه فذهب عبيد بن الابرص الى المكان وجاء بجملهِ))[٣٧].

يبدوا ان كان للحية في معتقدات بعض قبائل العرب قبل الاسلام (العصر الجاهلي) ، اهمية كبيرة في رواياتهم وقصصهم التي يرويها الاخباريون ، فهي (الحية) من بنات الجن وانها احدى عشائرها المهمة [٣٨].

٤-عبادة الاسلاف :

كانت للوثنية في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام مظاهر عديدة منها عبادة مظاهر الطبيعة ، عبادة الارواح ، الاعتقاد بالجن ، عبادة الاسلاف ، تقديس الاشياء والاماكن ، حجارة ، اشجار ، ينابيع ، واخيراً الاصنام [٣٩].

ومن معتقدات الجاهلين تقديس قبور اسلافهم ، والتعبد لها على طريقة عبادة السلف التي كانت معروفة لدى معظم الشعوب القديمة وقد حملهم على ذلك ، اعتقادهم بأن ارواح امواتهم تلازمهم قبورهم وتبقى بينهم ومن المفروض عليهم تقديسها [٤٠] .

ويرى المؤرخون ان عبادة (السلف) تقود اتباعها في بعض الاحيان الى الاعتقاد بأن قبيلتهم تنتمي الى صلب جد واحد اصله حيوان في رأي الاكثرين ، او من النجوم في بعض الاحيان وهذا ما يجعل هذه العقيدة قريبة من الطوطمية [٤١].

ويرى جواد علي :(لعبادة السلف علاقة بعبادة الاصنام (Idolatry) ويلاحظ ان عبادة السلف تقود اتباعها في بعض الاحيان الى الاعتقاد بأن قبيلتهم تنتمي الى صلب جد واحد ، اصله حيوان في رأي الأكثرين ، او من النجوم في بعض الاحيان ، وهذا ما يجعل هذه العقيدة قريبة من الطوطمية)) [٤٢].

ولهذه العبادة اثر كبير في نظام اصحابها الاجتماعي ، اذ هي تربط الاجيال الحاضرة بالأجيال الماضية بروابط متينة ، وتؤلف من اصحاب هذا المذهب وحدة قوية ،ولها اثر كبير في الاسرة ، فهي في الواقع عبادة تخص الاسرة قبل كل شيء [٤٣].

وللأسف معلوماتنا عن عبادة السلف عند الجاهليين قليلة [٤٤] ، ويمكن ان نستنتجه من امر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بتسوية القبور ونهيه عن اتخاذ مساجد ومواضع للصلاة ان العرب قبل الاسلام كانوا يعبدون ارواح اصحاب القبور ويتقربون اليها ، ولعل في عبارة ((قبر ونفس)) او ((نفس وقبر)) الواردة في بعض النصوص الجاهلية ما يؤيد هذا الرأي بأن النفس هي الروح [٤٥].

وكان تقديسهم للسلف وعبادتهم لهم ، ناشئاً عن حبهم وتقديرهم لأجدادهم العظام ، وأبطالهم ورؤسائهم ، كالذي اورده ابن الكلبي (٢٠٤ هـ –٨١٩ م) عن بني شيت بن ادم انهم كانوا يأتون جسد ابيهم في المغارة التي دفن فيها ، فيعظمونه ويترحمون عليه ، ((فقال رجل من بني قابيل بن ادم : يا بني قابيل ان لبني شيت دواراً يدورون حوله ويعظمونه)) ، وليس لكم شيء ، فنحت لهم صنماً فكان اول من عملها [٤٦]، وكانت قريش وبطونها تعظم اصنامها ، وتنحر لهم [٤٧].

ويرى المؤرخين ان من اثار عبادة السلف حلق الرأس واحداث جروح في الجسد واحتفالات دفن الموتى ولبس المسوح والعناية بالقبور والصلاة عليها او اقامة شعائر دينية فوقها او علامات خاصة بالميت او الموتى للتقديس ، وقد اشار اهل الاخبار الى قبور اتخذت مزارات ، كانت لرجال دين ولسادات قبائل يقسم الناس بها ، ويلوذون بصاحب القبر ويحتمون به [٤٨].

وكان لقريش اصنام كثيرة وكان لكل قبيلة صنهم الخاص بهم في جوف الكعبة ، فكان ود وسواع ويغوث ويعوق اصنام ،فيعتقدون انهم كانوا قوماً صالحين ، ماتوا في شهر ، فحزن عليهم اقربائهم ، فنحتوا لهم اصنام وعظموهم ،فمرور الزمن اعتادوا على تعظيمهم قائلين : ((ما عظم اولئك هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله))[٤٩].

ويروي اهل الاخبار ان ضريح (تميم بن مر) جد (تميم) اتخذ قبره معبداً ثم تحول الرجل الى صنم ، وهناك اعتقاد بوجود ارواح موثرة في الطبيعة كلها ، ولذلك كثيراً من المظاهر

الطبيعية المركبة وغير المرئية منها الاعتقاد بوجود قوى فوق الطبيعة ، منها ما يكون في جسم ، وهو ((النفس)) ، ومنها ما لايكون في الاجسام وهو الروح [٥٠].

ويمكن تقسيم هذه العبادة الى ثلاث اصناف : عبادة النفس ، نفس الانسان او الحيوان وخاصة منها عبادة الاموات (Nacrolatry) ، وعبادة الارواح (Spiritism) ، وعبادة الارواح التي تحمل في المظاهر الطبيعة ، اما بصورة مؤقته او بصورة دائمة [٥١].

ومايؤكد تلك الروايات صاحب كتاب اديان العرب في الجاهلية ، فيقول ((كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العبادة ، بمعنى نلحظه في المعبود من النفع او الضرر))[٥٢].

ويروي المؤرخين : ان العرب في الجاهلية تعظم الامراء والرؤساء ، وليس ادل على ذلك ان بني سعد بن زيد بن منات كانوا يحجون كلما استهل شهر رجب عصابة الزبرقان ابن بدر الصحابي الذي ولاه النبي (صلى الله وعليه وسلم) والعصابة هي ما يعصب بها الراس ويشد ،فكانوا يتباركون بعصابة الزبرقان ، تعظيماً لقدره ، وذكر الشاعر ربيعة بن سعد النمري يمدح الزبرقان فيقول [٥٣]:

كانت تحج بنو سعد عصابته ... اذا استهلوا على انصابه رجبا

سب يزعفره سعد ويعبده ... في الجاهلية ينتابونه عصبا

وتعد عبادة الاسلاف في نظر بعض العلماء ، هي فرع من اهم فروع الدين ، بل هي الاساس الذي قام عليه الدين في نظر اخرين ،اما الاسباب التي اتخذت لهذه العبادة ، هي الحب والتقدير للابطال والرؤساء[٥٤].

ويرى جواد علي : ان الآراء والنظريات والمعتقدات لا تزال في مراحلها ، وهي موضع جدل بين العلماء لانها قائمة على اساس الملاحظات والتجارب التي حصلوا عليها من دراساتهم لأحوال المجتمعات [٥٥].

ويرى خليل ملكاوي نقلاً عن ((سبنسر وتيلور)) : ان الانسان البدائي(القبائل القديمة) كان عندما يرى الاحلام فيرى اشخاصاً كانوا قد ماتوا . اعتقد ببقاء ارواح الموتى وان لها القدرة على الايذاء او النفع ، وكان يعلل كل ما يصيبه من امراض بغضب هذه الارواح عليه وخاصة انها تمثل ارواح اسلافه ،فاخذ يتقرب لها بالعبادة خوفاً من شرها وتقديساً لابائه واجداده [٥٦].

ورد العالم (دور كايم) على هذا الرأي فيقول :(ان اعتقاد الانسان الاولي ببقاء الارواح لا يكفي لنشؤ عقيدة دينية ،[٥٧] لان عبادة الاسلاف وجدت عند الامم المتحضرة كما وجدت عند الامم البدائية لم تعبد الاسلاف ، فلم يكف هذا التفسير نشاة العقيدة))[٥٨].

وتنطلق هذه النظرية من قاعدة الحادية تقوم على عدم وجود اله للكون ، وتفسير ظهور الدين في المجتمعات بمثابة استجابة لظروف خرافية معينة ، قبل ان يتطور العقل البشري ليفهم الظواهر فهماً علمياً ، وكل هذه العقائد الدينية والتشريعات تكونت وترسخت مع مرور الزمن ، واذا كانت النصوص الدينية تنطلق من قاعدة ايمانية على وجود الله ، وان في الكون خيراً وشراً، والله يرسل رسله لهداية الناس وارشادهم لطريق الخير وتحذيرهم من طريق الشر ، وهذا هو لب جميع الاديان [٥٩] .

وعلى اي حال وفي ختام بحثنا هذا يذكر لنا جواد علي : ان الآراء في هذه المعتقدات لا تزال في مراحلها الاولى ، وهي موضع جدل بين العلماء ، لأنها قائمة على اساس الملاحظات والتجارب التي حصلوا عليها من دراساتهم لأحوال المجتمعات البدائية ...

ولا يمكن بالطبع اتفاق في الدراسات الاستقصائية المبنية على المشاهدات والملاحظات ، واذا كانت هذه الدراسات غير مستقرة وغير نهائية حتى الان ، فقد صعب بالطبع تطبيقها على معتقدات العرب قبل الاسلام [٦٠].

وزاد في هذه الصعوبة قله معلوماتنا في هذه الامور ، وليس من الممكن في نظري ان نتوصل الى نتائج علمية غير قابلة للأخذ والرد في هذه الموضوع في الزمن الحاضر ، بل ولا في المستقبل [٦١].

الخاتمة

بعد ان انتهيت من كتابة بحثي هذا لابد من تسجيل النتائج :-

١-الطوطمية مصطلح حديث يطلق على عبادة الحيوان والنبات والكواكب وغيرها .

٢-تعتبر الطوطمية هي اول صورة للدين والمعتقد في تاريخ البشرية .

٣-لم تقتصر الطوطمية في انتشارها ونشاتها على القبائل العربية في العصر الجاهلي ، بل شملت ايضاً القبائل الغير عربية في كل ارجاء الارض المعمورة التي خلقها الله سبحانه وتعالى .

٤-اصبحت الطوطمية بالنسبة لمعتقديها الاساس الروحي لهم اذ تربطهم رابطة الدم للمعتقد الذي يعبدوه سواء كان من نبات او حيوان او كواكب او اي شيء اخر .

٥-لقد اثرت الطوطمية في حياة القبائل اثر كبير فهذه العبادة هي التي تحميهم من كوارث الطبيعة القاسية ، فهي تحفظهم من كل سوء.

٦-ظهور العديد من المفكرين والفلاسفة للبحث في اصل الطوطمية واثرها ونشاتها بين القبائل القديمة ، فكان مثلاً الدكتور جواد علي ، له الدور الكبير في بحثنا هذا ، ولا نبخس دور العلماء الاخرين من العرب والغرب ايضاً .

٧-تعد عبادة الاسلاف فرع مهم من فروع الاديان القديمة في جميع القبائل دون استثناء.

٨-تصنف عبادة الاسلاف الى ثلاثة اصناف هي : عبادة النفس وعبادة الارواح والاموات ، وعبادة الارواح التي تحمل المظاهر الطبيعة لحمايتهم .

Totemism in the religion of the ancient Arab tribes before Islam

Keywords: totemism, tribes, Islam

ahmed sleep noman masir
Diyala General Directorate of Education

Abstract

Totemism and ancestral worship are a branch of pre-Islamic religions ("pre-Islam Arabs"), as they are not only monopolized by Arab tribes, but also included non-Arab tribes, as these acts of worship are a symptom of a person from its appearance until the late ages of pre-Islam.

The research dealt with totemism and ancestor worship, and how to use and develop this modern term, and this is a name that was not previously known to the tribes themselves, not even to the scholars and the people of the first news. Pre-Islamic pre-Islamic Arabs Arab tribes and non-Arab tribes, the theories and opinions in which they were said, and their philosophy, and the effect of this worship on the tribes in their customs and traditions, and the research dealt with the ancestral worship and its impact on the religious life of pre-Islamic Arab society, and how Of reverence for their parents and grandparents and their ancestors, and the worship of their graves named after them to protect them from mistakes and conflicts that may occur to the children of the tribe.

الهوامش

(١)مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، ط ع (الرباط – ١٤٢٠ هـ) ،ج١،ص٨٢٩ .

(٢)علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٢، ص١٦٩ .

(٣) المرجع نفسه ،ج٢ ،١٦٩.

(٤) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٢،ص١٦٩ ، بهاء النحال ، تأملات في الاناجيل والعقيدة ،ط٢ (بيروت .١٩٩٤ م) ،ج١ ،ص١٦٠ .

(٥) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج٢ ،ص١٦٩، فرويد ،سيغموند ، الطوطم والتابو ،ص١٢٥ .

(٦) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج٢ ، ص١٦٩ ، فرويد ،سيغموند ، الطوطم والتابو ص١٢٧ .

(٧) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ط٤ ،دار الساقي ،(لامك ،٢٠٠١م) ج٢ ،ص١٧٠ ، ملكاوي ، محمد احمد محمد ، عبد القادر خليل ، عقيدة التوحيد في القران الكريم ،(مكتبة الزمان . مدينة المنورة .١٩٨٥ م) ،ج١ ،ص٥١.

(٨) الحوالي ، سفر عبد الرحمن، العلمانية نشاتها واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة (دائرة الهجرة – السعودية . بلا ت) ،ج١ ،ص٩٨ ،ول ديورانت ،قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب محمود واخرون ،(بيروت . دار الجيل –١٩٨٨ م)،ج١ ،ص١٠٦ .

(٩) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج٢ ، ص١٧٠ ، الزيات ، احمد حسن باشا ، مجلة الرسالة ، ع٥٨٣ ،ص٢ .

(١٠) برو ،توفيق ، تاريخ العرب القديم ،ط٢(دار الفكر – بيروت .٢٠٠١) ،ج١ ،ص٢٩١ ،جواد علي ، المفصل، ج٢ ،ص ١٧٠.

(١١) علي، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج٢ ،ص١٧٠ .

(١٢) الماجدي ،خزعل ، علم الاديان ، ج١ ،ص١٤٨ ،عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ع٨ ،ص٣٢٥ ،فخر الرازي ميرزا محمد سيرازي ، السر المكتوم في مخاطبة النجوم ، (مصر – المطبعة الحجرية . ١٩١٦م) ،ج٢ ،ص٢١٦ –٢٣٩.

(١٣) فرويد ،سيغموند ،الطوطم والحرام ،ترجمة : جورج طربيشي ،(باريس–١٩٦٥م) ،ص١٠ .

(١٤) فرويد ،سيغموند ،الطوطم والتابو ،ترجمة :بو علي ياسين ،(سوريا– دار الحرية –١٩٨٣ م) ،ص٢٤ .

(١٥) المرجع السابق ، ص١٠ .

(١٦) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج٢ ،ص١٧٠ .

(١٧) فرويد ،سيغموند ، الطوطم والتابو ،ص٢٤ .

(١٨) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج٢ ،ص١٦٩ ، حسين سعيد ، اديان العالم ، (القاهرة . دار الكنيسة الاسقفية . بلا ت) ،ص١٨.

(١٩) بهاء النحال ، تأملات في الاناجيل والعقيدة ، ط ٢، (بيـروت . دار الجيل – بلا ت) ،ج١ ،ص١٦٠.

(٢٠) الحوالي ، العلمانية نشأتها واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة ،(دمشق – دار الهجرة – بلا ت) ،ج١ ،ص٩٨ .

(٢١) فرويد ،سيغموند ،الطوطم والتابو ،ص٢٤ .

(٢٢) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٤٦.

(٢٣) المرجع نفسه ،ج١١،ص٤٦ .

(٢٤) المرجع نفسه ،ج١١،ص٤٧ .

(٢٥) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٤٧ ،حبيب سعيد ، اديان ،ص١٨ .

(٢٦) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٤٧.

(٢٧) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج٢،ص٢٨٤.

(٢٨) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١،ص١٠٦ ، ملكاوي ، محمد احمد محمد عبد القادر خليل ،عقيدة التوحيد في القران الكريم ،(مدينة المنورة – مكتبة الزمان – ١٩٨٥).

(٢٩) الشهرستاني ،ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت٥٤٨هـ) ،الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ،(دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٤ هـ) ،ج١،ص٣٧-٣٨.

(٣٠) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٥-٦.

(٣١) محمود ، عرفة محمود ، العرب قبل الاسلام ،مؤسسة عين الدراسات والبحوث الانسانية ،(القاهرة – ١٩٩٥ م) ،ص١٢٨ .

(٣٢) الميداني ،عبد الرحمن بن حسن حنبكة ، كوشف زيون في المذاهب الفكرية المعاصرة ،الدمشقي (١٤٢٥ هـ) ،ط٢ (دمشق . دار القلم . ١٩٩١ م) ،ج١ ،ص٣٣٩-٣٤٠ .

(٣٣) المرجع نفسه ،ج١ ،ص٣٣٩ ،احمد حسن الزيات باشا (١٣٨٨ هـ) ، مجلة الرسالة ،ج٣٥٤ ،ص١٦ .

(٣٤) الدمشقي ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ج١،ص٣٣٩ .

(٣٥) الدمشقي ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ج١،ص٣٤٠ .

(٣٦) الصلابي ،محمد محمد المصراتي ، الوسطية في القران الكريم ط١(الشارقة – مكتبة الصحابة -٢٠٠١)،ج١،ص٢٠٠.

(٣٧) محمود ، العرب قبل الاسلام ،ى ص١٨٤ .

(٣٨) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١٢،ص٣٠١ ، توفيق برو ،تاريخ العرب القديم ، ط٢ ،(بيروت – دار الفكر – ٢٠٠١م)،ج١ ،ص٢٨٤ ،نيلسن ديتلف ، التاريخ العرب القديم ، ترجمة علي فواد حسنين ،(القاهرة – مكتبة النهضة – ١٩٤٩ م) ،ص١٩٩-٢٠٠.

(٣٩) برو ،توفيق ، تاريخ العرب القديم ،ج١، ص٢٨٤ .

(٤٠) المرجع نفسه ،ج١، ص٢٨٤ .

(٤١) الفيومي ، تاريخ الفكر الديني الجاهلي ،ج١ ،ص٤٧٢ .

(٤٢) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٤٨ش

(٤٣) المرجع نفسه ،ج١١ ،ص٤٨.

(٤٤) الفيومي ، تاريخ الفكر الديني الجاهلي ،ج١ ،ص٤٧٢ .

(٤٥) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٤٨ ،الفيومي ،تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، ج١ ،ص٤٧٢ .

(٤٦) برو ،توفيق ،تاريخ العرب القديم ،ج١ ،ص٢٨٨ .

(٤٧) ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية بن امية بن عمرو الهاشمي البغدادي (٢٤٥ هـ) المنمق في اخبار القريش، تحقيق : خورشيد احمد فاروق ، عالم يكتب (بيروت – دار الفكر – ١٩٨٥ هـ)،ج١ ،ص٣١٨ ،خان محمد عبد المعيد ، الاساطير العربية ،دار جنة)(القاهرة – مكتبة النهضة– ١٩٣٧م)،ص١٠٦ .

(٤٨) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٤٨.

(٤٩) برو ،توفيق ، تاريخ العرب القديم ،ج١ ، ص٢٨٨ .

(٥٠) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٤٩.

(٥١) المرجع نفسه ،ج١١ ،ص٥٠.

(٥٢) الجارم ،محمد نعمان ، اديان العرب الجاهلية ، (مصر– مطبعة السعادة –١٩٢٣م)،ص١٢٣ -١٢٤ .

(٥٣) البغدادي ،عبد القادر بن عمر (١٠٩٣هـ) ،خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ،تحقيق :عبدالسلام هارون ،ط٤(القاهرة . مكتبة الخانجي – ١٩٩٧ م) ،ج٨ ،ص١٠٠،الجارم ،اديان العرب ،ص١٢٤ .

(٥٤) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٤٧.

(٥٥) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٥٠.

(٥٦) ملكاوي ،خليل ،عقيدة التوحيد في القران الكريم ،ج١،ص٥١ .

(٥٧) المرجع نفسه ،ج١ ،ص ٥١ .

(٥٨) ملكاوي ،خليل ،عقيدة التوحيد في القران الكريم ،ج١ ،ص٥١ .

(٥٩) السلاوي المغربي ،ابو سفيان مصطفى بادو ،العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام ، (القاهرة – المكتبة الاسلامية للنشر والتوزيع – ٢٠١٢ م) ، ج ١، ص٦٣ .

(٦٠) علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج١١،ص٥٠.

(٦١) المرجع نفسه ،ج١١ ،ص٥٠ .

المصادر والمراجع

- ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية بن امية بن عمرو الهاشمي البغدادي (٢٤٥ هـ) ، المنمق في اخبار قريش تحقيق : خورشيد احمد فاروق ، عالم يكتب (بيروت – دار الفكر – ١٩٨٥ ه).
- البغدادي ،عبد القادر بن عمر (١٠٩٣هـ) ،خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ،تحقيق :عبدالسلام هارون ،ط٤(القاهرة . مكتبة الخانجي – ١٩٩٧ م) ،.
- النحال ،بهاء ، تأملات في الاناجيل والعقيدة ، ط ٢، (بيروت . دار الجيل – بلا ت).
- برو ،توفيق ، تاريخ العرب القديم ،ط٢(دار الفكر – بيروت .٢٠٠١).
- علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ط٤ ،دار الساقي ،(لامك ،٢٠٠١م) .
- سعيد ،حسين ، اديان العالم ، (القاهرة . دار الكنيسة الاسقفية . بلا ت).
- الحوالي ، سفر عبد الرحمن، العلمانية نشأتها واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة (دائرة الهجرة – السعودية . بلا ت) .
- الماجدي ،خزعل ، علم الاديان ، (بيروت . عالم الكتب . بلا).
- السلاوي المغربي ،ابو سفيان مصطفى بادو ،العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام ، (القاهرة – المكتبة الاسلامية للنشر والتوزيع – ٢٠١٢ م) .
- فرويد ،سيغموند ،الطوطم والتابو ،ترجمة :بو علي ياسين ،(سوريا– دار الحرية – ١٩٨٣ م) . .
- فرويد،سيغموند ،الطوطم والحرام ،ترجمة : جورج طربيشي ،(باريس–١٩٦٥م) .
- الشهرستاني ،ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) ،الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ،(دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٤ ه) .

- الصلابي ، علي محمد ،الوسطية في القران الكريم ،(مكتبة الصحابة – الشارقة – الامارات –٢٠٠١م).
- الميداني ،عبدالرحمن بن حسن حنبكة ، كوشف زيون في المذاهب الفكرية المعاصرة ،الدمشقي ت(١٤٢٥ هـ) ،ط٢ (دمشق . دار القلم . ١٩٩١ م) .
- خان، محمد عبد المعيد ، الاساطير العربية ،دار جنة (القاهرة – مكتبة النهضة– ١٩٣٧م).
- سيرازي ،فخر الرازي ميرزا محمد ، السر المكتوم في مخاطبة النجوم ، (مصر – المطبعة الحجرية . ١٩١٦م)
- الفيومي ،محمد ابراهيم ،ت (١٤٢٧ هـ) تاريخ الفكر الديني الجاهلي،ط٤ (بيروت – دار الفكر – ١٩٩٤ م).
- الجارم،محمد نعمان ، اديان العرب الجاهلية ، (مصر– مطبعة السعادة –١٩٢٣م).
- ملكاوي ، محمد احمد محمد ، عبد القادر خليل ، عقيدة التوحيد في القران الكريم ،(مكتبة الزمان . مدينة المنورة .١٩٨٥ م) .
- نيلسن ديتلف ، التاريخ العرب القديم ، ترجمة علي فواد حسنين ،(القاهرة – مكتبة النهضة – ١٩٤٩ م).
- ول ديورانت ،قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب محمود واخرون ،(بيروت . دار الجيل –١٩٨٨ م).
- **المجلات**
- احمد حسن الزيات باشا (١٣٨٨ هـ) ، مجلة الرسالة
- **الموسوعات**
- عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، ط ٤ (الرباط – ١٤٢٠ هـ).
- محمود ، عرفة محمود ، العرب قبل الاسلام ،مؤسسة عين الدراسات والبحوث الانسانية ،(القاهرة – ١٩٩٥ م) .